خصائص الصورة التشبيهية في شعر دريد بن الصمة

إعداد

ياسمين رضا عبدالباقي علي الحناوي

إشراف

أ.د العربي حسن درويش **أ.د أحمد سعد محمد**

أستاذ مساعد متفرغ النقد **أستاذ البلاغة والنقد الأدبي**

هذا البحث بعنوان خصائص الصورة التشبيهية في شعر دريد بن الصمة، وقد بدأ البحث بمقدمة تفيد أهمية التشبيه للعامة والخاصة، ثم أخذ البحث في تتبع الصورة التشبيهية في شعر دريد بن الصمة؛ من خلال الوقوف على بنية التشبيه المكونة من طرفيه(المشبه والمشبه به)، وأداة التشبيه، ووجه الشبه.

ثم عرض صور التشبيه الموجودة في شعره مثل التشبيه مكتمل الأركان، والتشبيه محذوف وجه الشبه، ومحذوف الوجه والأداة، والتشبيه المضمر أحد الطرفين، والمحذوف الأداة، وكان هدف البحث تتبع خصائص التشبيه في شعره، ومعرفة نسبة شيوع نوع بعينه.

فقد كان دريد كغيره من شعراء العصر الجاهلي يوظفون الصورة البيانية في شعرهم، وكان أكثرها التشبيه. فكانوا عندما يصفون شيئا يقربونه بما يماثله من واقعهم الحسي، وكانوا يجنحون نحو المثالي فيعمدون إلى المبالغة في صورهم. وكان التشبيه أساساً في تكوين الصورة، ودليلا على الموهبة، والبراعة، والتفوق في ميدان الشعر.

الكلمات المفتاحية للبحث:

خصائص الصورة التشبيهية– شعر– دريد بن الصمة

characteristics of analog image in the poetry of Duraid Bin Alsema

Yasmin Reda Abdel Baki Ali

Research Abstract

This reseach is titled characteristics of analog image in the poetry of Duraid Bin Alsema, The research began with an introduction to the importance of analogy to the public and private, and then the research in tracing the analogous image in the poetry of Duraid ibn al-Semah; by standing on the structure of the metaphor of the two extremes (similar and likable), and the analogy, and similarity.

And then display the analogy images in his poetry such as the complete metaphor of the corners, the analogy of the deleted face, the deleted face and the tool, the symmetry of the contiguous one of the parties, the deleted tool, the aim of the search was to trace the characteristics of the analogy in his poetry.

Duraid, like other pre-Islamic poets, used the graphic image in their poetry, and was the most similar. When they described something that brought him closer to their own

sensory reality, they would win the ideal, deliberately exaggerating their images. The analogy was mainly in the composition of the image, a proof of talent, ingenuity, and superiority in the field of poetry.

Keyword:Characteristics of the visual image – Poetry – Duraid bin Sama

خصائص الصورة التشبيهية في شعر دريد بن الصمة

إعداد

ياسمين رضا عبدالباقي علي الحناوي

إشراف

أ.د العربي حسن درويش — **أستاذ مساعد متفرغ النقد**

أ.د أحمد سعد محمد — **أستاذ البلاغة والنقد الأدبي**

مقدمة

يلجأ الإنسان إلى عقد مشابهة أو مقارنة بين أمرين أو أكثر من الأمور التي تعن له في أثناء التعبير عن مشاعره وأحاسيسه، ونقل ما يدور في فكره من مواقف تجاه الحياة والكون من حوله. وكان التشبيه من أقرب الوسائل اللغوية التي اتخذها في تصوير معانيه، والوصول بها إلى نفوس متلقيه.

ويستوي في ذلك البشر جميعهم؛ العامة والخاصة منهم، العالم والجاهل، كذلك الحضري والبدوي. فهم جميعا يرون الصور، ويربطها كل منهم بالصورة التي تعجبه وتروقه فيبرزها مشبها لها بأخرى مما تقع تحت حسه. ومن هنا نجد التفاوت بين مراتب التشبيه وعناصره، فنجد تشبيهات العامة مما يدور في حياتهم ومجال أعمالهم، ومما يحبون ويكرهون. فيلحقون الأشياء التي يحبونها بأشياء أخرى يولعون بها، ويصورون ما يكرهون بصور ينفرون منها ويبغضونها.

أما تشبيهات الخاصة، فهي تتجاوز مرحلة الربط العفوي بين الأشياء إلى البحث وراء المعاني الدقيقة التي تربط بين الأشياء، حتى إذا خرجت كانت جميلة الوقع في النفس. حتى إذا "اتفق لك في أشعار العرب التي يحتج بها تشبيه لا تتلقاه بالقبول، أو حكاية تستغربها فابحث عنه ونقّر عن معناه، فإنك لاتعدم أن تجد تحته خبيئة إذا

أثرتها عرفت فضل القوم بها، وعلمت أنهم أدق طبعًا من أن يلفظوا بكلام لامعنى تحته".[١]

وعلى الرغم من كون الشعراء من الخاصة، وكانوا يهتمون بالصور التشبيهية الدقيقة وتصوير المعاني تصويرا فريدا، بل كان منهم من يتكلف في إيراد صوره حتى يخرج عن القريحة، ومنهم من كان الشعر صنعته يتكسب به، ليرضي أمراء أو ملوكا، ويعلو في مكانته؛ فإن دريدا لم يكن يتعمد قول الشعر في معظم أحواله، إنما الشعر كان عنده تعبيرا عن حال، أو وصفا لحرب خرج فيها. ولهذا كانت الصور عنده واضحة.

وقد كان دريد بن الصمة كغيره من شعراء العصر الجاهلي يوظفون الصورة البيانية في شعرهم، وكان أكثرها التشبيه، وكان شعراء الجاهلية إذا وصفوا شيئا يقربونه بما يماثله من واقعهم الحسي، وكانوا يجنحون نحو المثالي، فيعمدون إلى المبالغة في صورهم التي يأتون بها في قصائدهم. وقد "احتفى الشعراء بالتشبيه، فهو في نظرهم دليل الموهبة، ومظهر البراعة،ووسيلة الفحولة والتفوق في ميدان الشعر."[٢]

و تقوم الباحثة بتتبع صوره التشبيهية التي أتى بها في ديوانه، ومحاولة تحليلها من حيث بنيتها ونسبة وجود كل صورة وتوزعها على أغراض الديوان ووظيفتها للوقوف على خصائص الصور التشبيهية عنده.

(١) عيار الشعر: ابن طباطبا: تحقيق عباس عبدالساتر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ص١٧.
(٢) الصورة البيانية في الموروث البلاغي: الدكتور حسن طبل، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١، ٢٠٠٥، ص ٣٤.

التشبيه ودوره في تشكيل الصورة:

التشبيه كما يوضحه أبو هلال العسكري في الصناعتين هو "الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة تشبيه، ناب التشبيه منابه أو لم يَنُبْ، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة تشبيه".[٣]

ويرى عبد القاهر في أسراره "أن الشيئين إذا شُبِّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين: أحدهما: أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج إلى تأول. والآخر: أن يكون الشبه محصلا بضرب من التأول".[٤]

وقد أدرك الشعراء قديما قيمة التشبيه، وجعلوه أساساً في تكوين الصورة ورسم ملامحها، ومن هنا أصبح التشبيه مظهرا للبراعة، ودليلا للموهبة والبراعة والتفوق.

وكان الشعراء يعقدون الصلات بين أشعارهم وما يحيط بهم في بيئاتهم ليحققوا الغرض المنشود من شعرهم، ويبينوا أحوال المشبهات في أشعارهم ويقربوها إلى نفوس المتلقين، "وسبيل التشبيه –إذا كانت فائدته إنما هي تقريب المشبَّه من فهم السامع، وإيضاحه له– أن تشبه الأدْوَن بالأعلى إذا أردت مدحه، وتشبه الأعلى بالأدون إذا أردت ذمه...لأن المراد في التشبيه ما قدمته من تقريب الصفة، وإفهام السامع، وإن كان ما شابه الشيء من جهة فقد شابهه الآخر منها، إلا أن المتعارف وموضوع التشبيه ما ذكرت".[٥]

وأحسن التشبيه ما أوقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدني بهما إلى حال الاتحاد. وكما صور قدامة ذلك بقوله:" إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يُشَبّه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشيئان إذا

(٣) الصناعتين: أبو هلال العسكري: تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط٢، ص٢٤٥.
(٤) أسرار البلاغة: عبدالقاهر الجرجاني، تعليق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ص٩٠.
(٥) العمدة: ابن رشيق القيرواني: تحقيق الدكتور النبوي شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ج١، ص٤٧٤.

تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير ألبتة اتحدا، فصار الإثنان واحدا، فبقى أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها، وإذا كان الأمر كذلك، فأحسن التشبيه هو ما وقع بين الشيئين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد".[٦]

بنية الصورة التشبيهية:

١- طرفا التشبيه(المشبه والمشبه به):

"يستدعي التشبيه طرفين؛ مشبها ومشبها به، يشتركان فيما بينهما من وجه ويفترقان من آخر، ويجب أن تتضمن العلاقة بين الطرفين دنوا وعلوا فيما بينهما، حتى يتحقق التقارب، الذي هو غاية عقد المشابهة، ويشترط لهذا العقد حصول صفة المشبه به في المشبه، وأن تكون من أظهر صفاته وأخصها به، وأن يكون وجودها في المشبه به أظهر من المشبه"[٧].

وإبداع التشبيه لا يتأتى فقط من عقد المشابهة بين الطرفين، ولكن يظهر بالكيفية التي عقد الشاعر بها تلك المشابهة، فكيف اختار مثلا عنصر المشبه به، ولماذا؟ فالأعراف الحضارية والأنساق الثقافية تمكن الشاعر من اختيار عنصر المشبه به ولكن تظهر براعة الشاعر وموهبته من وضع تلك العناصر مكانها الفريد الذي ينتج معنى شعريا قد يجعل الصورة مبتكرة تحمل روح الشاعر ورؤيته الشعرية بحسب ما تمليه أغراضه وبنيته الشعرية والإيقاعية.

وقد حاول الشعراء أن يتخيروا عناصر المشبه به الذي يبرز ذلك، فقد أرادوا أن يصفوا لنا المشبه وصفا دقيقا، ويصورونه تصويرا بليغا حتى يكاد القارئ يرى

(٦) نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر: تحقيق كمال مصطفى، الخانجي، القاهرة، ط٣، ص١٠٩.
(٧) بلاغة التشبيه في المعلقات السبع، مختار عطية ،بحث نشر مجلة الآداب بالمنصورة، ٢٠٠٢، ص ١٥٧

الصورة بعين الشاعر، وذلك لبراعته في وصف الصورة، وكأن الشعراء ينقلون لنا أحداث حربهم، وأيامهم، ويطلعوننا على حياتهم بأدق صورة وصفية لها.

وظهر هذا جليا في شعر دريد، فقد برع في اختيار عناصر المشبه به الواردة في تشبيهاته، ورسم بها صورا ناطقة بالمعنى، حتى يشعر من يقرأ شعره أنه يرى المشبه كما وصفه ويرى الصورة ويدرك حركتها.

وقد غلب الوصف في الديوان حتى مثّل معظم الأغراض الشعرية، فقد وصف دريد المعارك والغزوات، ووصف الخيل والنوق، ووصف حال أعدائه حال التنكيل بهم. وفي كل هذا كان دقيقا في اختيار عنصر المشبه به .

فعند وصف الناقة قال دريد :[٨] (٢٠/ ٤،٥،٦)[٩]

وَاكَبْتُهم بأَمُونٍ جَسْرَةٍ أُجُدٍ كأنها فَدَنٌ بالطِّينِ مَمْدورُ

وَجْنَاءَ لا يَسْأَمُ الإيضَاعَ رَاكِبُها إذا السَّرَابُ اكْتَساهُ الحَزْنُ والقُورُ

كَأَنَّها بين جَنْبَيْ واسِطٍ شَبَبٌ وبَيْنَ لَيَّانَ طَاوِي الكَشْحِ مَذْعُورُ

اختار دريد عنصرين لتشبيه ناقته التي خرج بها للغزو، وقد ساقهما من النسق الثقافي الذي عاشه، فنجد المشبه به الأول"فدن: الفدن القصر المشيد"[١٠] هو القصر المشيد الذي عظم بناؤه، وقد دُهن بالطين فأصبح خاليا من أي فراغ، فقد مدره بالطين المتماسك الذي يخلو من الرمل حتى يسد حجارته ويهذب شكله؛ فلا يعيبه شيء. وهذا تشبيه فريد للناقة يجعل من يقرأ يعلم مدى قوة ناقته وشدتها وأنها لا يعيبها شيء ولا

(٨) ديوان دريد بن الصمة ، تحقيق الدكتور عمر عبدالرسول ، دار المعارف، مصر، ذخائر العرب ، ١٩٨٥، ص ٨٩ .، و"أجد": ناقة أجد أي قوية موثقة الخَلْق". لسان العرب ص٣١.

(٩) يشير الرقم الأول إلى رقم القصيدة في الديوان ، والرقم الثاني إلى رقم البيت في القصيدة.

(١٠) ينظر لسان العرب، "فدن"، ص٣٣٦٥.

يؤثر في قوتها شيء وقد دل على ذلك استخدامه لفظتي أمون وجسرة؛ فالناقة (الأمون) هي أمينة وثيقة الخلق، قد أمنت أن تكون ضعيفة، وهي التي أمنت العثار والإعياء.[١١] و(الجسرة) هي الناقة الماضية، الطويلة الضخمة[١٢] .

والصورة الثانية تشبيه الناقة بالثور القوي الفتي الذي يجري وقد زاد من سرعته شدة الخوف والذعر والفزع .

تنوعت عناصر المشبه به التي ساقها دريد في أبياته لوصف وتشبيه الخيل، وقد ساعده على اختيارها النسق الثقافي الذي كان يعيش فيه، فجاءت تشبيهات الخيل كلها من حيوانات وطيور كانت موجودة في عصره وكانت تعبر عن القوة، والشدة، والسرعة، والكثرة. فنجده يشبه الخيل تارة بالجراد، وأخرى بالقطا، وغيرها بالذئب، كما شبه الخيل بالظباء، والشاة الفتية، وجذع النخلة.

فعند تشبيه سرعة الخيل وكثرتها شبهها بالجراد في قوله:[١٣]

ولما رَأَيْتُ الخيلَ قُبُلًا كأنها جَرَادٌ يُبَارِي وجْهَةَ الرِّيحِ مُغْتَدِي

اختار دريد الجراد لتشبيه الخيل الذي يواجهه، وقد اختار هذا العنصر لأنه يدل على الكثرة، والخفة، والانتشار، والقضاء على كل ما يواجهه، فالجراد يأتي على مايقابله من أخضر، كذلك الخيل عندما تذهب لمكان فإن الفرسان سيأتون على كل من بالمكان، كما أراد بيان قوته؛ فالجراد يباري وجهة الريح، ويواجه الريح بسرعته.

ولتصوير ضخامة الفرس قال:[١٤]

(١١) ينظر لسان العرب، "أمن"،ص١٤٣.
(١٢) ينظر لسان العرب، "جسر" ، ص٦٢٣.
(١٣) ديوان دريد بن الصمة ،(١٦/١٢)، ص ٦١ .
(١٤) ديوان دريد بن الصمة،(٤٤/١٢،٤٣)، ص ٧٢ .

يَفُوتُ طَوِيلَ القومِ عَقْدُ عِذَارِهِ مُنِيفٌ كجِذْعِ النَّخْلَةِ المُتَجَدِّدِ

إذا هَبَطَ الأَرْضَ الفَضَاء تَزَيَّنَتْ لِرؤْيَتِهِ كَالمَأْتَمِ المُتَبَدِّدِ

صور ضخامة الفرس وطوله بجذع النخلة، وصور كيف يصعب على طويل القوم عقد لجامه؛ فهو طويل الظهر والرجلين.

ثم رسم صورة كلية متحركة للخيل في قصيدة أخرى، فقال:[١٥]

وخَيْلٍ كأَسْرَابِ القَطَا قد وَزَعْتُها على هيْكَلٍ نَهْدِ الجُزَارَةِ مُرْمِدِ

سَوابِقُها يَخْرُجْن من مُتَنَصَّفٍ خُرُوجَ القَوارِي الخُضْرِ من سَبَلِ الرّعْدِ

وغَيْثٍ من الوَسْمِيِّ حُوٍّ تِلاعَهُ عَلَتْهُ جُمَادَى بالبَوارِقِ والرَّعْدِ

تبَطَّنْتُه تَعْدُو ببَزِّيَ نَهْدَةٌ جُلَالَةُ ما بيْن الشَّرَاسِفِ واللَّبْدِ

لها حُضُرُ لَفٌّ الحَرِيقِ وعَقْبُها كجَمِّ الخَسِيفِ بعد مَعْمَعَةِ الوِرْدِ

فبرع في تشبيه وتصوير حركة الخيل وظهورها في الصحراء الخالية من الحياة كمثل ظهور القواري عند نزول المطر من السحاب، وكيف أخذت القواري في الطيران مع المطر بسعادة ، و(القواري) طيور قصيرة الرجلين، طويلة المنقار، تحبها الأعراب وتتيمن بها. وصور عَدْوَه وتجدده وأنه لا يتوقف أو يهدأ بحركة الورّاد الذين يكثر ترددهم على بئر متجدد ماؤه، فلا نجده خاليا من الناس، فهم متجددون بتجدد الماء في البئر.

---

(١٥) المصدر نفسه ،(١٣/١٤،١٣،١٢،١١،١٠،٩،٨)، ص ٧٩ ،و"الارمداد" هو سرعة السير، "الشراسف":أطراف أضلاع الصدر التي تشرف على البطن، و"القَسْب": التمر اليابس، ونوى القسب أصلب النوى، و"الظرب": كل ما نتأ من الحجارة وحدّ طرفه، ينظر لسان العرب (شرسف- قسب- ظرب).

فقد كان يصور خلاء الصحراء من الحياة، وفجأة ظهر فيها الخيل جماعات، فشبه ظهور الخيل بأسراب القطا التي تطير جماعات منتظمة متقاربة مما يدل على كثرتها، ثم يصور حركة الخيل في تلك الصحراء بطيور القواري التي تطير مع المطر بسعادة غامرة، فقد سمع الرعد ورأى المطر خارجا من السحاب وأخذ يطير مع حركة نزول المطر، كذلك الخيل يجري في الصحراء وكأنه طائر. ثم صور قوة الفرس وشدتها وقوة جريها في الصحراء، فهي لا تتوقف ولا تتعب من العدو فتجري على الصخور الموجودة في الصحراء ولا توقفها حتى صار باطن حافرها مثل نوى التمر الذي يتقد من احتكاكه بالصخر الحاد، وعلى الرغم من ذلك فإنها تكمل عدوها بقوة وخفة وتجدد للحركة كتجدد ماء البئر الذي يكثر ورّاده. فجاءت تشبيهات الخيل في تلك القصيدة تدل على الكثرة، والقوة، والتجدد، وكان اختيار عناصر المشبه به اختيارا دقيقا، ساعد على رسم صورة كلية تحمل كل عناصرها؛ من حركة ولون وصوت؛ ساعد على إبراز صورة بليغة للخيل وحركته .

وفي تشبيه حركة الخيل، قال:[١٦]

تَنْجُو سَوالِفُها من سَاطِعٍ كَدِرٍ كما تَجَلَّلَتْ الوُعْثَ اليَعافِيرُ

شبه حركة الخيل في الصحراء بحركة اليعافير؛وهي الظباء التي تجري فتنفض الرمل وغباره عنها، واختار لفظة اليعافير في التشبيه لسببين؛ مناسبته لإيقاع القصيدة، ولأن اليعفور لونه كلون الرمل، فلمع جلود الخيل تحت ضوء الشمس والغبار كلمع جلد الظبي وسط الرمل. و"الوعث:المكان السهل الكثير الدّهس، تغيب فيه الأقدام".[١٧]

(١٦) ديوان دريد بن الصمة، (٢٠/ ٢٧)، ص ٩٣ .
(١٧) ينظر لسان العرب، "وعث"، ص ٤٨٧٠.

وعندما أراد تشبيه الخيل التي يقودها حال شبابه، قال:[١٨]

يالَيْتَني فيها جَذَعْ
أخُبُّ فيها وأَضَعْ
أقُودُ وَطْفَاءَ الزَّمَعْ
كأنَّها شَاةُ صَدَعْ

فهو يتذكر أيام الشباب والفتوة ويتحسر على حاله وما أصبح عليه، فاستخدم تيس الظباء لتشبيهها، فالتشبيه بالظبي أو التيس يدل على القوة، وأتى بصفة له وهي صدع؛ لتدل على قوته وسرعته، فشبه فرسه بظبي فتي، شديد، قوي؛ ليبين مدى قوته ، فهو الفرس القوي .

وأتى بصورة أخرى من صور تشبيه الخيل بالظبي، قائلا:[١٩]

كَمِيشٌ كَتَيْسِ الرّبْل أخْلَصَ مَتْنَهَ ضَرِيبُ الخَلايَا والنَّقِيعُ المُعَجَّلُ
عَتِيدٌ لأيامِ الحُروب كأنَّه إذا انْجَابَ رَيْعَانُ العَجَاجَةِ أَجْدَلُ
يُجَاوِبُ جُرْدًا كالسَّراحِين ضُمَّرًا تَرُودُ بأبْوابِ البيوتِ وتَصْهَلُ

فاختار تشبيه الفرس بتيس الربل؛ لأنه أنشط من غيره، فهو يرعى نبات الربل مدة طويلة في المرعى على اتساعه، ففرسه سريع، قوي، كهذا التيس النشيط السريع. ثم أكمل وصف قوة فرسه، فهو شديد، سريع الوثب، مفتول الجسم، مُعَد للحرب، يجاري الفرس الأجرد، فهو مثل الذئاب في ضمورها مما يجعله أسرع من الخيل غيره.

---

(١٨) ديوان دريد بن الصمة ، (٣٤)، ص ١٢٨
(٣) المصدر نفسه ، (٤٤/٦،٥،٤)، ص ١٤٤.

وصف دريد المعارك التي خاضها، وما استخدم أثناءها من دروع، وأسلحة، كما وصف وشبه الكتيبة التي تخرج للغزوة، وما تُنْتِجه معاركه القوية من سيل للدماء، واستخدم في الوصف صوراً للمشبه به متنوعة؛ فاستخدم الماء؛ مطراً، ونهراً، واختار السماء السوداء، والرّقم.

ففي تشبيه الدروع قال:[٢٠]

إلى الصُرَاخِ وسِرْبَالي مُضَاعَفَةٌ كأنَّهَا مُفْرَطٌ بالسِّيِّ مَمْطُورُ

فنجده شبه الدروع المستخدمة في المعركة وكثرتها بالنهر الذي ينهال المطر عليه بغزارة، فيمتلئ ويزداد ماءً، فهو يخوض المعركة بقوة وشجاعة وتمتلئ ساحة القتال بقومه كامتلاء النهر بماء المطر الذي يغزر عليه .

وشبه الدماء بقوله:[٢١]

فمَا تَوَهَّمْتُ أنِّي خُضْتُ مَعْرَكَةً إلا تَرَكْتُ الدِّمَا تَنْهَلُّ كالمَطَرِ

فشبه الدماء الناتجة عن المعركة بالمطر الذي ينهل حتى يملأ الدنيا؛ دلالة على قوته في ملاقاة أعدائه، فلم ينج منهم أحد، ودماؤهم من كثرتها أصبحت تغمر الدنيا كالمطر.

وقال مشبها كتيبته:[٢٢]

بجَأْوَاءَ جَوْنٍ كلَوْنِ السَّمَاءِ تَرُدُّ الحَدِيدَ كَلِيلًا فَلِيلًا

(٢٠) ديوان دريد بن الصمة ،(١٦/٢٠)، ص ٩١ ، و في اللسان ،السربال : القميص والدرع، مادة سربل، و"السي":الفلاة، موضع أملس بالبادية، لسان العرب"سوا".

(٢١) المصدر نفسه، (٣/٢٢)، ص ٩٨ .

(٢٢) ديوان دريد بن الصمة، (٧/٤٣)، ص ١٤١ .

فنجده يشبه الكتيبة التي يخرج بها للقاء عدوه بأنها كالسماء السوداء، المشربة بالحمرة، وذلك لما يغطيها من الدروع المتينة الصنع، المغطاة بلون الدم لكثرة ما واجهه من الأعداء.

وقال واصفا :[٢٣]

وأصْبَحْنَ قدْ جَاوَزْنَ أسْفَلَ ذي حَسَا وآثارُها فوق المصيخِ كالرَّقْمِ

شبه الغزوة التي خرج بها؛ ليغير على بني ثعلبة، وغلبته بتلك الغزوة، وشدة قوته بالكتابة التي تترك أثرا على الصخر لشدتها واستمرار أثرها. قال

وفي معرض فخره بنفسه، وقبيلته، اختلفت عناصر المشبه به التي جاء بها في تشبيهاته؛ فقد استخدم كل عنصر في الصورة التشبيهية بما يؤدي المعنى المراد للتشبيه، من مبالغة في رسم صورة مثالية للمشبه، فنجده لتصوير القوة والشدة شبّه نفسه بالسيف الصلب القاطع، والفرس القوي الذي لم يحد من حركته اللجام، كما شبه نفسه بمصائب الزمان التي تنهال على العزيز، فتذله وتوقع به.

فقال مفتخرا بقبيلته: [٢٤]

إذا أحْزَنُوا تَغْشَى الجبالَ رجَالُنَا كما اسْتَوْفَزَتْ فُدْرُ الوُعُولِ القَرَاهِبِ

فَلَلْيَومِ سُميتُمْ فَزَارَةَ فاصْبِرُوا لوَقْعِ القَنَا تَنْزُون نَزْوَ الجَنَادبِ

(٢٣) المصدر نفسه ، (٤/٥٦)، ص ١٦٢،و(الرّقم: النقش الذي يبدع فيه صاحبه على الصخر، فيظل أثرًا محمودًا للناس على مرّ العصور).

(٢٤) المصدر نفسه ، (١٠،١١/٣)، ص ٣٨ .

فنجده عند فخره بقبيلته وقوتها وشدتها في مواجهة الأعداء أراد أن يبين مدى سرعتهاوخفتها، فاستخدم لبيان ذلك المشبه به –الوعل– المستعد دائما للوثب والقفز، والمضي بأقصى سرعته، كذلك سرعتهم في مواجهة أعدائهم لا تتوقف ولا تبطأ.

وفي المقابل بيّن مدى ضعف العدو عند ملاقاة دريد وقبيلته، وعدم مجاراتهم لقوتهم، شبههم بصغار الجراد، فالجراد ضعيف بالنسبة للوعل، ولا يقوى على الاستمرار في المضي والوثب، فعندما يصوبون الرماح إليهم سيثبون مثل الجراد ضعفا وخوفا ويتساقطون سريعا.

وقال مفتخرا بنفسه:[٢٥]

يا هِنْدُ لا تُنْكِري شَيْبِي ولا كِبَرِي فَهِمَّتِي مِثْلُ حَدِّ الصَّارِمِ الذَّكَرِ

ولِي جَنَانٌ شَدِيدٌ لو لَقِيتُ به حَوَادِثَ الدَّهْرِ مَا جَارَتْ على بَشَرِ

فمَا تَوَهّمْتُ أنِّي خُضْتُ مَعْرَكَةً إلَّا تَرَكْتُ الدِّمَا تَنْهَلُّ كالْمَطَرِ

كمْ قدْ عَرَكْتُ مع الأَيَّامِ نَائِبَةً حتَّى عَرَفْتُ القَضَا الجَارِي مع القَدَرِ

عُمْرِي مع الدَّهْرِ مَوْصُولٌ بآخِرِه وإنَّمَا فَضْلُه بالشَّمْسِ والقَمَرِ

أراد دريد عند فخره بنفسه أن يظهر مدى قوته، وشدته، وبأسه فبالغ في إظهار تلك الصفات من خلال عنصر المشبه به، فاستخدم لتشبيه قوته وشدته السيف في صفتين له؛ الصارم، والذكر، فالسيف الصارم الشديد القوي القاطع، والذكر الصلب الحاد، فعزمه مثل عزم السيف القاطع الصلب الحاد، يمضي بقوة كما يمضي ذلك

(٢٥) ديوان دريد بن الصمة، (٢٢/٥،٤،٣،٢،١) ، ص ٩٨ .

السيف القوي. ثم يكمل المبالغة في عرض قوته في المعارك، فهو لا يدخل معركة إلا وتكون نتيجتها هلاك محقق للأعداء، وأوضح ذلك من خلال تشبيهه كثرة الدماء في المعركة بالمطر، فالدماء في المعارك التي يخوضها كثيرة كالمطر المنهل بغزارة مما يبين قوته وشدته. وأكمل فخره بتشبيه نفسه، وفضله بفضل الشمس والقمر، وقد كان من عادة الشعراء قديما تشبيه الحسن بالشمس والقمر، ولكن دريداً أتى بمشبه عقلي وليس حسياً، فشبه عمره، وخبرته،وفضله بفضل الشمس والقمر من الحسن، وانبعاث النور، وغيرها من الصفات.

وفي فخره بسرعته قال: [٢٦]

وربَّتَ غَارَةٍ أَوْضَعْتُ فيهَا كسَحٍّ الخَزْرَجِيِّ جَرِيمَ تَمْرِ

فهو يصور سرعته في المعركة، وقوته، بقوة صب نوى التمر، فالخزرج يكثر عندهم التمر فلن ينتهي صب نوى التمر، كما لن ينتهي صب دريد الطعن على أعدائه، واختيار عنصر المشبه به يدل على القوة والسرعة وعدم التوقف، فهو لن يتوقف عن تسديد الضربات لعدوه وصب وابل من الطعنات عليه.

ولبيان خبرته بالحوادث والأيام، وصروف الدهر،قال:[٢٧]

إمَّا تَرِينِي كَنَضْوِ اللَّجامِ أُعِضَّ الجَوَامِحَ حتَّى نَحَلْ

فشبه نفسه باللجام المنحول من كثرة السير والجري في الصحاري، فقد جرى الفرس حتى نحل لجامه، كذلك هو خاض من المعارك والأحداث ما زاده خبرة بالدهر.

وقال في تشبيه نفسه:[٢٨]

([٢٦]) ديوان دريد بن الصمة، (١٥/٢٨)، ص ١١٣ .

([٢٧]) المصدر نفسه، (٤١)، ص ١٣٧ .

أنا نَائِبَاتُ الزَّمَانِ التي تذِل العَزِيزَ وتُحْيِ الذَّلِيلا

شبّه نفسه بنائبات الزمان التي تغير من حال إلى حال، فالنائبات والمصائب دليل على القوة القادرة على التدمير، أو العزة، فهو قادر على غلبة عزيز كل قوم والقضاء عليه، وإعطاء العزة للضعيف إذا حارب معه.

كما شبه نفسه وقومه بقوله:[٢٩]

غَدَاةَ رَأَوْنَا بالغَرِيفِ كأنّنَا حَبِيٌّ أدَرَّتْه الصَّبَا مُتَهَلِّلُ

ففي معركتهم مع بني الحارث شبه نفسه وقومه بالسحاب الذي تجلبه الريح حتى غطى السماء، ثم تلألأ بالبرق، حتى يمطر فهو سيمطر عليهم وابلا من الطعنات، وشبه لمعان سيوفهم بتلألئ البرق وسط السحاب المتراكم؛ وهي صورة تعبر عن كثرة عددهم وقوة سيوفهم، واستعدادهم للمعركة ببأس شديد.

ثم ننظر إلى التحول التعبيري في الصورة في قوله: [٣٠]

إنْ يَكُ رَأْسِي كَالثَّغَامَةِ نَسْلُهُ يُطِيفُ بِي الوِلْدَانُ أَحْدَبَ كالْقِرْدِ

رَهِينَة قَعْرِ البَيْتِ كُلَّ عَشِيَّةٍ كأنِّي أُرَادَى أنْ أُصَوّبَ في مَهْدِ

فمِنْ بَعْد فَضْلٍ في شَبَابٍ وقُوَّةٍ ورَأْسٍ أثِيثٍ حَالِكِ اللَّوْنِ مُسْوَدِّ

([٢٨]) المصدر نفسه ، (١٠/٤٣)، ص ١٤١ .

([٢٩]) ديوان دريد بن الصمة ، (٩/٤٤)، ص ١٤٥ .

([٣٠]) المصدر نفسه ، (١،٢،٣/١٣)، ص ٧٨، والثغام: نبات على شكل الحلي وهو أغلظ منه، يكون في الجبل ينبت أخضر ثم يبيض إذا يبس،والثغامة جمّاحته مثل هامة الشيخ (اللسان/ ثغم).

عندما أراد أن يبين حاله عند كبره، وعجزه، وكيف تحول من مصيبة من مصائب الزمان إلى مثار سخرية القوم وتهكمهم، فقد أصبح كالقرد الأحدب الذي يدور حوله الأطفال، يلعبون به حتى يراوده من معه كالطفل الصغير الذي يريد أهله أن يضعوه في مهده حتى ينتهوا من إزعاجه لهم.

فأخذ دريد يتحسر على أيام شبابه، وما كان عليه من قوة وفتوة وشدة، وقد أصبح ضعيفا عند كبره لا يقوى على حمل رأسه، فشبهها بالنبات اليابس الذي يبهت ويبيض ويسقط حال ذبوله، لم يعد ذا أهمية، فالولدان يطوفون حوله مثل القرد الأحدب، وقد اختار نبات الثغامة في التشبيه؛ لما لهذا النبات من صفات تشبه صفات الإنسان عند كبره، فعندما ييبس فإنه يبيض ويذبل ويسقط، وأكمل في وصف وتشبيه حاله عند كبره بالطفل الذي يراوده الناس حتى يوضع في مهده لما أصبح عليه من الضعف.

وشبه نفسه حال ضعفه قائلا: [٣١]

أَصْبَحْتُ أَقْذِفُ أَهْدَافَ المَنُونِ كَمَا ... يَرْمِي الدَّرِيئَةَ أَدْنَى فُوقَةِ الوَتَرِ

في مَنْصَفٍ من مَدَى تِسْعِين من مِائَةٍ ... كَرَمْيَةِ الكَاعِبِ العَذْرَاءِ بالحَجَرِ

في مَنْزِلٍ نَازِحٍ م الحَيِّ مُنْتَبَذٍ ... كَمِرْبَطِ العَيْرِ لا أُدْعَى إلى خَبَرِ

كَأَنَّنِي خَرَبٌ قُصَّتْ قَوَادِمُه ... أو جُثَّةٌ من بُغَاثٍ في يَدَيْ هَصِرِ

فتحدث عن مدى ضعفه عندما تخطى التسعين من عمره، فشبه نفسه بالدريئة التي تتعرض للنبال، وهي الحلقة التي يتعلم الرامي الطعن عليها، فهو عند كبره

(٣١) ديوان دريد بن الصمة، (٢٤/٤،٣،٢،١)، ص ١٠٣، و"البغاث" كل طائر ليس من جوارح الطير، اللسان(بغث) .

يتعرض لأهداف الدهر وحوادثه كما تتعرض تلك الحلقة لرمي النبال، ثم أكمل في بيان ضعفه فشبه نفسه بالحسناء التي ترمي الحجر، فتكون رميتها ضعيفة، ثم بالغ في تشبيه ضعفه بطائر الحبارى المعروف عنه الضعف، فهو ليس ضعيفا فقط بل كالحبارى الذي قُص ريش قوادمه. قال:

وقال مادحا يزيد بن عبد المدان:[٣٢]

رَأَيْتُ أَبَا النَّضْرِ في مِذْحَجٍ بمَنْزِلَةِ الفَجْرِ حِينَ اتَّضَحْ

اختار دريد عند مدحه يزيد بن عبد المدان لفظ الفجر مشبها به، ثم أردف تشبيهه بالفجر بقوله "حين اتضح" ، فقد فرق العرب قديما بين نوعين من الفجر؛ الفجر الكاذب، والفجر الصادق. فعندما أشار دريد إلى وضوح الفجر كان يقصد الفجر الصادق، وهو يدل على عظم مكانة الممدوح في علو منزلته، وقوته، وصدقه. فاستطاع أن يأتي بصورة مبتكرة، مختلفة فهو لم يرد فقط بيان الحسن، ولكن أراد بيان صدق الممدوح وأثره القوي ومكانته.

وقال مادحا عدوه:[٣٣]

فإنَّ حِزَامًا لَدَى مَعْرَكٍ وإخْوَتَه حَوْلَهُم أَنْسُرُ

فمدح عدوه وبيّن قوته، وشبه إخوته حوله في المعركة بالنسور، فقد أراد أن يبين شجاعتهم وقوتهم. والنسر يتصف غير القوة بالثقة، فهم واثقون من غلبتهم لدريد وقبيلته بسبب قوتهم وشجاعتهم، ولكن دريدا استطاع غلبتهم لقوته التي تفوق قوتهم، فهو عند فخره بقوته قد مدح عدوه وبين صفاته القوية التي سيغلبهم على الرغم منها.

(٣٢) ديوان دريد بن الصمة ، (٩/٨)، ص ٥١ .
(٣٣) المصدر نفسه، (٨/٢٣)، ص ١٠١ .

وفي المدح قال: [٣٤]

فتىً مِثْلُ مَتْنِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ للنَّدَى كَعَالِيَةِ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ أَرْوَعَا

فقد مدح ذؤاب بن أسماء، وعند مدحه أتى بصورة تشبيهية مبتكرة استخدمها من بعده الشعراء؛ فقد شبه ممدوحه بالرمح الرديني نسبة إلى ردينة زوج سمهور، فقد كانا يصنعان الرماح والسيوف في البحرين، واشتهرت رماحهم وسيوفهم بقوتها وشدتها وجودة صقلها، وقد شبهه به للدلالة على قوته، وطيب منبته وأصله.

وفي المدح قال أيضا: [٣٥]

مُتَهَلِّلٌ تَبْدُو أَسِرَّةُ وَجْهِهِ مِثْلَ الحُسَامِ جَلَتْهُ كَفُّ الصَّيْقَلِ

يُزْجِي ظَعِينَتَه ويَسْحَبُ رُمْحَه مُتَوَجِّهًا يُمْنَاه نحوَ المَنْزِلِ

وتَرَى الفَوَارِسَ من مَخَافَةِ رُمْحِهِ مِثْلَ البُغَاثِ خَشِين وَقْعَ الَأجْدَلِ

وعندما أراد أن يمدح ربيعة بن مكدم[٣٦]: فارس بني كنانة؛ لشجاعته في ملاقاة فرسان بني جشم، وقد أرسل إليه دريد ثلاثة فرسان، فقتلهم برمحه دون خوف، شبهه بالسيف الذي جلاه الصيقل فأصبح لامعا من الصقل، وجهه براق مثل ذلك السيف، ثم صور شجاعته في ملاقاتهم، فهو لم يخف منهم بل هم الذين جبنوا من رمحه، فشبههم بطائر البغاث الضعيف الذي يضرب به المثل في الذلة، وهو يخشى ملاقاة الصقر فيكون لا محالة هالك بسبب قوته.

([٣٤]) المصدر نفسه ، (٣/٣٦)، ص ١٣١ .

([٣٥]) ديوان دريد بن الصمة ، (٣،٤،٥/٤٩)، ص ١٥٢.

([٣٦]) ربيعة بن مكدم:" هو ربيعة بن مكدم بن عامر بن حرثان، من بني كنانة، أحد فرسان مُضر المعدودين في الجاهلية. له أخبار أشهرها حمايته الظعن بعد مقتله. ولا يُعلم قتيل حمى الظعن غيره". ينظر الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ج٣، ص١٧.

وقال مشبها:[٣٧]

ولكُمْ خَيْلٌ علَيْهَا فِتْيَةٌ كأُسُودِ الغَابِ يَحْمِينَ الأَجَمْ

شبه دريد فرسان بني الحارث عندما قتلوا أخاه، مصورا مدى قوتهم؛ بالأسود التي تحمي مأواها في الغابة؛ ليدل على قوتها، وأنها لن تسمح لأحد بالاقتراب من مكانها، وعلى الرغم من ذلك فإن دريدا وقبيلته سينالون منهم وينتقمون لخالد أخيه.

استخدم دريد في الهجاء مشبها به لغرض التقليل والتحقير، فقد شبه مرة بالجراد، ومرة بالثعلب؛ حيث يتصف بالمراوغة، ومرة بالبنات التي تتمايل وتتزين، وابتكر صورة عندما كان يهجو رجلا ، شبهه بالبيضة الفاسدة التي استقرت في مكان مقفر.

فقال في هجاء قبيلة مرة: [٣٨]

ومُرَّةَ قَدْ أَخْرَجْنَهُمْ وتَرَكْنَهُم يَرُوغُونَ بالصَلْعَاءِ رَوْغَ الثَّعَالِبِ

فقد هجا دريد قبيلة مُرّة، وشبههم بالثعالب، فالثعلب يذهب يمنة ويسرة مراوغة وخوفا من أعدائه، فهم من خوفهم أخذوا يخدعون دريدا في وادي الصلعاء، حيث قتل ذؤاب بن أسماء، وصاروا يذهبون يمينا ويسارا؛ خوفا من أن يجدهم ويقتلهم، وصفة المراوغة صفة غير محمودة.

ثم واصل هجاءهم مشبها إياهم بصغار الجراد الذي يثب خوفا وضعفا، فهم يخافون رماحهم ويجرون ولكنهم صغار ضعاف كالجراد الذي يعد صغيرا في مواجهتهم. قال:[٣٩]

(٣٧) ديوان دريد بن الصمة، (٢/٥٢)، ص ١٥٥.
(٣٨) ديوان دريد بن الصمة، (٧/٣)، ص ٣٧ .

فَلَلْيَومِ سُميتُمْ فَزَارَةَ فاصْبِرُوا لوَقْعِ القَنَا تَنْزُون نَزْوَ الجَنَادبِ

وفي هجاء أعدائه قال: [٤٠]

كأنَّ وِلْدَانَهُم لمَّا اخْتَلَطْنَ بِهِم تحتَ العَجَاجَةِ بالأَيْدِي العَصَافِيرُ

كما شبه أيضا بالجراد أعداءه، فهم عند المعركة تحت الغبار يبدون كالجراد الصغير الضعيف المتهاوي بفعل الغبار قبل أن يخوض حتى المعركة.

وعند هجائه أولاد فارس قال: [٤١]

يَمْشُونَ في حُلَلِ الدِّيبَاجِ نَاعِمَةً مَشْيَ البَنَاتِ إذا مَا قُمْنَ في السَّحَرِ

ويَوْمَ طَعْنِ القَنَا الخَطِّيّ تَحْسِبهُم عَانَاتِ وَحْشٍ دَهَاهَا صَوْتُ مُنْذَعِرِ

أما أولاد فارس فقد شبههم بالبنات اللاتي تزين، ومشين مشية ناعمة، ليسوا بالرجال الأقوياء الأشداء، وإنما مثلهم مثل البنات في الضعف، وذلك ليقلل من شأنهم.

ثم صور نتيجة الطعن وشدته وفجأته على أعدائه، فشبههم بقطيع الحمر الوحشية التي فاجأها صوت عال، دهاها وهي تجري، فأصابها بالتوقف المفاجئ والخوف، فهم مثلهم جبناء.

وفي الهجاء قال: [٤٢]

وهل أَنْتَ إلا بَيْضَةٌ مَاتَ فَرْخُهَا ثَوَتْ في سُلُوخِ الطَّيْرِ في بَلَدٍ قَفْرِ

([٣٩]) المصدر نفسه، (١١/٣)، ص ٣٨.
([٤٠]) ديوان دريد بن الصمة، (٢٦/٢٠)، ص ٩٣.
([٤١]) المصدر نفسه ، (٢٢/ ٨،٩)، ص ٩٨.
([٤٢]) المصدر نفسه، (٣/٢٥)، ص ١٠٦.

شبه دريد رجلا في هجائه بالبيضة الفاسدة، التي استقرت وسط بقايا ريش طائر يبطن به عشه، فلا أحد يدري بها، ولا قيمة لها، مثلها مثل الريش، بل هي أقل فهي فاسدة لا حياة فيها ولا طائل منها، وجاء مكان استقرارها في بلد مقفر مجدب، مما يؤدي بها إلى انتهائها، فالعش سيصبح مهجورا، وذلك ليدل على أن الرجل لا قيمة له.

وعندما هجا بني الحارث، قال:[٤٣]

فانْظُرُوهَا كالسَّعَالِي شُزَّبًا قبْلَ رَأْسِ الحَوْلِ إنْ لمْ أَخْتَرِم

شبههم بالغيلان الضامرة التي تترقب موتها من شدة ضعفها، فهم لا يقوون على مواجهة قوته لشدة ضعفهم.

وفي رثاء أخويه قال: [٤٤]

تَقُولُ هِلالٌ خَارِجٌ من غَمَامَةٍ إذا جَاءَ يَجْرِي في شَلِيلٍ وقَوْنَسٍ

وقال: [٤٥]

ولن يَزَالَ شِهَابًا يُسْتَضَاءُ بِه يَهْدِي المَقَانِبَ ما لمْ تَهْلَكَ الصِّمَمُ

رثى دريد أخويه: خالدا وعبد يغوث، مشبها إياهما بالهلال، والشهاب، لما يتميزان به من صفات اللمعان والإضاءة، فشبه خالدا بالهلال المتفرد بين السماء الذي ينير بضوئه ظلامها، فهو لا مثيل له بين قومه، وعندما يرتدي درعه يكون بين القوم كالهلال الظاهر بين ظلام السحاب.

---

(٤٣) ديوان دريد بن الصمة ، (٧/٥٢)، ص ١٥٦.، و"السعالي":السعلاة أخبث الغيلان، اللسان سعل.

(٤٤) المصدر نفسه ،(٥/٣١)، ص ١٢٤،"الشليل : الغلالة تلبس تحت الدرع ، وقيل هي الدرع وهو المراد هنا".

(٤٥) المصدر نفسه ، (٣/٥٤)، ص ١٥٨.

وفي رثائه لعبد يغوث، شبهه بالشهاب الذي ينير ويهدي الجيوش في المعارك، وأثره باقٍ في قومه إذا لم يهلكوا بعده.

٢- أداة التشبيه:

أداة التشبيه هي ألفاظ تدل على المماثلة، وهي مؤلفة من حرف، واسم، وفعل. وقد كثر استخدام أداة التشبيه الحرفية على غيرها من الأدوات في شعر دريد، فقد وردت "الكاف" في الصور التشبيهية عنده حوالي تسعا وعشرين مرة. ثم جاء في المرتبة الثانية "كأنّ" ونراها في شعره حوالي عشرين مرة. وقلّ استخدامه لأدوات التشبيه الاسمية والفعلية.

أ- الكاف:

و" الكاف هي الأصل في الدلالة على التشبيه؛وذلك لبساطتها في الاستخدام فهي حرف واحد لا تركيب فيها لأن التركيب من شأنه أن يؤدي إلى خصوصية في المعنى، فالمركب يدل على أصل المعنى وزيادة، كما هو الشأن في كأن من دلالتها على التشبيه المؤكد. أما الكاف فلا تدل إلا على الأصل، وهو التشبيه".[٤٦]

فمن أمثلة مجئ الكاف للدلالة على المشابهة، تشبيهه لغزارة الدماء التي تنهل في المعركة التي يخوضها بالمطر مشابهة له في قوة هبوطه وغزارته، فقال:[٤٧]

فمَا توَهَّمْتُ أنِّي خُضْتُ مَعْرَكَةً إلا تَرَكْتُ الدِّمَا تَنْهَلُّ كالمَطَرِ

(٤٦) أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم، د محمد موسى حمدان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧، ص١٠٥.

(٤٧) ديوان دريد بن الصمة، (٣/٢٢)، ص ٩٨.

وقال في تشبيهه نفسه حال كبره:[٤٨]

إنْ يكُ رَأْسِي كالثَّغَامَةِ نَسْلُه يطِيفُ بي الوِلْدَانُ أَحْدَبَ كالقِرْدِ

فشبه نفسه حال كبره وما آل إليه في عجزه من بياض شعره، شبه رأسه بنبات الثغام الذي ينبت مخضرا ثم ييبس ويبيض، كذلك رأسه عند كبره تبيض وييبس شعره، كما أصبح ظهره أحدب كشكل القرد.

وفي القصيدة نفسها قال:[٤٩]

فقَدْ أَبْعَثُ الوَجْنَاءَ يَدْمَى أَظَلُّهَا على ظَهْرٍ سَبْسَابٍ كحَاشِيَةِ البُرْدِ

يصور شدته على ناقته القوية، وكيف من قوتها وشدتها تترك أثرا على رمال الصحراء عند عدوها، فتترك الرمال كالثوب الموشى المخطط، فشبه الصحراء بالثوب والرمال المتعرجة بالخطوط التي تملأ الثوب.

وقال في تشبيه الموت:[٥٠]

المَوْتُ حُلْوٌ لِمَا لاقَت شَمَائِلُهُم وعِنْد غَيْرِهِم كالحَنْظَلِ الكَدِرِ

فنراه يشبه الموت بالحنظل المر الكدر، وهذا ما سيواجهه أعداء آل عدنان فهم لسوء خلقهم، وجبنهم سيجدون الموت حنظلا، أما آل عدنان لشجاعتهم فالموت حلو لهم.

---

(٤٨) المصدر نفسه ، (١/١٣)، ص ٧٨.

(٤٩) ديوان دريد بن الصمة ، (٤/١٣)، ص ٧٨.،"الوجناء":ناقة وجناء: تامة الخَلق، غليظة لحم الوجنة،صلبة شديدة، و"السبساب": السبسبب المفازة، لسان العرب ، (وجن)، (سبسب).

(٥٠) المصدر نفسه ، (١٦/٢٢)، ص ٩٩.

وفي المشابهة بين الأثر والكتابة قال:[٥١]

وأصْبَحْنَ قدْ جَاوَزْنَ أسْفَلَ ذِي حَسَا وآثَارُهَا فَوْقَ المَصِيخِ كالرَّقْمِ

عقد مشابهة بين الأثر الذي تتركه النوق التي يخرج بها للغارة على بني ثعلبة، وبين الكتابة التي تكون ذات أثر على الحجارة، وذلك لبيان القوة والشدة.

وقال واصفا الإبل: [٥٢]

ورُبَّتَ غَارَةٍ أوْضَعْتُ فِيهَا كَسَحٍّ الخَزْرَجِي جَرِيمَ تَمْرِ

ومن دلالة الكاف على المساواة في المعنى المشترك بين الطرفين، قوله واصفا وابل الطعنات التي سيصبها على أعدائه، وسرعتها وشدتها ودقة إصابتها بنوى التمر الذي يقذف سريعا فيصيب الهدف.

وقال تحسرا على حاله: [٥٣]

في مَنْصَفٍ مِن مَدَى تِسْعِين من مائَةٍ كَرَمْيَةِ الكَاعِبِ العَذْرَاءِ بالحَجَرِ

فعندما تحسر على حاله وما وصل إليه من ضعف، شبه ضعفه بضعف رمية العذراء للحجر، فضعفه جاء مساويا لضعف رميتها .

كما دلت الكاف على المساواة بين الأفعال عند اتفاقها في الصفة، فمن أمثلة ذلك قوله: : [٥٤]

إذا غَلَبْتُم صَدِيقًا تَبْطِشُونَ به كَمَا تَهَدَّمَ في المَاءِ الجَمَاهِيرُ

([٥١]) المصدر نفسه ، (٤/٥٦)، ص ١٦٢.
([٥٢]) ديوان دريد بن الصمة ، (١٥/٢٨)، ص ١١٣.
([٥٣]) المصدر نفسه ، (٢/٢٤)، ص ١٠٣.
([٥٤]) المصدر نفسه ، (١٢/٢٠)، ص ٩٠.

فقد شبه دريد قوة آل سفيان وبطشهم بالماء الذي يأتي على مجموع الرمل فيهدمه ويزيله وكأنه لم يكن، فقوة بطشهم مساوية لقوة اندفاع الماء وقدرتها على هدم الرمال.

كما قال في تصوير ضعفه: [٥٥]

أَصْبَحْتُ أَقْذِفُ أَهْدَافَ المَنُونِ كَمَا يَرْمِي الدَّرِيئَةَ أَدْنَى فُوقَةِ الوَتَرِ

شبه نفسه وكيف أصبح يتعرض لحوادث الدهر وصروفه–وهو لا يقوى على مواجهتها– بالدائرة التي تتعرض للنبال ولا تستطيع مقاومتها ومواجهتها، فالدريئة تتعرض للنبال كما يتعرض هو لحوادث الدهر لضعفه.

وقال مصورا حزنه: [٥٦]

أَمِن ذِكْرِ سَلْمَى مَاءُ عَيْنَيْكَ يَهْمِلُ كَمَا انْهَلَّ خَرْزٌ من شُعَيْبٍ مُشَلْشَلُ

عندما صور حزنه على سلمى شبه انهمار دموعه بانسلال الخيط من السقاء البالي، فحزنه الكبير يؤدي إلى سرعة انهمار دموعه، كسرعة وسهولة انسلال الخيط من السقاء، فسرعة الانهمار تشبه سرعة وسهولة انسلال الخيط.

ب– كأن :

جاء استخدام كأن في شعر دريد في المرتبة الثانية بعد الكاف،فقد استخدمها حوالي عشرين مرة، وتنوع وجودها في كل قصيدة مع غيرها من الأدوات.

([٥٥]) المصدر نفسه ، (١/٢٤)، ص ١٠٣.

([٥٦]) ديوان دريد بن الصمة ، (١/٤٤)، ص ١٤٣.

"وتتميز كأن عن الكاف في التشبيه بالمبالغة والتأكيد بما لايكون مع الكاف، فهي تستعمل حيث يقوى الشبه، وحتى يكاد الرائي يعتقد أن المشبه هو المشبه به لا غيره ولذا قالت بلقيس عندما رأت العرش(كأنه هو). " [٥٧]

ونجد دريدا قد استخدم كأن في شعره عندما أراد المبالغة وتأكيد المعنى، فعندما أراد تصوير قوته في المعارك التي يخوضها هو وقومه استخدمها للتقريب بين المشبه والمشبه به، ونجد من أمثلة ذلك فخره بنفسه وقبيلته عند غارتهم على بني أسد وغطفان، مصورا في المقابل ضعفهم في ملاقاته وعدم قدرتهم على مواجهته هو وقبيلته، قال:[٥٨]

إذا طَرَدْنَا كَسَوْنَا الخَيْلَ أنْضِيَةً وإنْ طُرِدْنَا كأنَّا خَلْفَنَا زُورُ

وقال في تصوير قوته: [٥٩]

كأنَّ وِلْدَانَهُم لمَّا اختَلَطْنَ بِهِم تحتَ العَجَاجَةِ بالأَيْدِي العَصَافِيرُ

فقد بالغ في تصوير قوته في مقابل ضعف عدوه، صور اختلاطهم في المعركة معا جعل عدوه صغيرا كالجراد الذي يشعر بضآلته في مواجهة الظبي.

وقال في وصف ضعفه:[٦٠]

رَهِينَةَ قَعْرِ البَيْتِ كُلَّ عَشِيَّةٍ كَأنِّي أُرَادَى أنْ أُصَوّبَ في مَهْدِ

(٥٧) أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم، ص ١٨٩.
(٥٨) ديوان دريد بن الصمة، (٢١/٢٠)، ص ٩٢.
(٥٩)المصدر نفسه ، (٢٦/٢٠)، ص ٩٣.
(٦٠) المصدر نفسه ، (٢/١٣)، ص ٧٨.

وكما بالغ في وصف وتصوير قوته، بالغ أيضا في تصوير ضعفه وعجزه، فهو يقول:أصبحت رهين البيت، وكأني طفل يُراود كي يُدسّ في مهده، أي يصعد إلى الفراش أو ينزل منه، ولا فِعل له غير هذا. ونجد هذا التحول التعبيري في قصائده، فهو لا يقوى على النهوض ولا الوقوف بنفسه، كما لا يستطيع أن يخدم نفسه فهو دائم الحاجة لمن يساعده حتى يتعب منه فيراوده كالطفل حتى يكف عما يفعله .

كما شبه نفسه بالحبارى الذي قص ريشه فهو لا يستطيع حماية نفسه لضعفه وحمقه. فقال: (٤/٢٤): [٦١]

كَأَنَّنِي خَرِبٌ قُصَّتْ قَوَادِمُه أوْ جُثَّةٌ مِن بُغَاثٍ فِي يَدِي هَصَرِ

فهو يصور ضعفه وعدم احتفاء الحي به لكبره بأنه كطير الحبارى بما عرف عنها من حمق وضعف، ويبالغ في تصوير هذا الضعف بقوله: قُصت قوادمه، والمعروف أن ريش القوادم لدى الحبارى ضعيف أصلا.

وقد وصف دريد وبالغ في الوصف مستخدما كأن في تشبيه الصحراء التي يذهب إليها لشجاعته، قال: [٦٢]

إلى عَلَمٍ نَاءٍ كأنَّ مَسَافَه مُحَلّلُ كِتَّانٍ من النَّأْيِ والبُعْدِ

فهي صحراء قاحلة، نائية شبه رائحة هوائها برائحة الكتان المتحلل،وبرع في المبالغة في تلك الصورة التشبيهية حتى لكأننا نشم رائحة الهواء المتحلل.

(٦١) ديوان دريد بن الصمة ، ص ١٠٤.

(٦٢) المصدر نفسه ،(٧/١٣)، ص ٧٩.

جـ – مثل:

جاء استخدام مثل في شعر دريد بن الصمة في المرتبة الثالثة بعد الكاف وكأنّ، وقد فاق استخدامها على غيرها من الكلمات التي تدل على التشبيه؛ فقد استُخدِمت حوالي عشر مرات، كما استُخدمت كلمة منزلة كأداة تشبيه اسمية.

وتستخدم مثل للدلالة على المشابهة والمماثلة، وبيان الاتفاق في صفة ما بين المشبه والمشبه به، وقد استخدم دريد مثل حوالي عشر مرات في صور التشبيه عنده، فنجده مثلا عندما شبه فرسان قومه شبههم بالغيلان، واستخدم "مثل" لبيان الاشتراك في صفة السرعة والشجاعة والقوة، ثم أقام المماثلة في الصفة بين الرجلة منهم وبين تدفق الرمال في السرعة والخفة في الانهمار، فقال: [٦٣]

على جُرْدٍ كأمْثَالِ السَّعَالِي ورَجْلٍ مِثْلِ أَهْمِيَةِ الكَثِيبِ

وعند تشبيه قوته وعزمه قال: [٦٤]

يا هِنْدُ لا تُنْكِري شَيْبِي ولا كِبَرِي فَهِمَّتِي مِثْلُ حَدِّ الصَّارِمِ الذَّكَرِ

فشبه قوته وعزمه بالسيف القاطع الصارم، الذي يشترك معه في صفات القوة والحزم والحسم، وجاء استخدام "مثل" لبيان تحقق تلك الصفات عن طريق المماثلة.

وقال مشبها ذؤاب بن أسماء: [٦٥]

فتىً مِثْلُ مَتْنِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ للنَّدَى كعَالِيَةِ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِي أرْوَعَا

(٦٣) ديوان دريد بن الصمة ، (٢/٦)، ص ٤٨ .
(٦٤) المصدر نفسه ، (١/٢٢)، ص ٩٨.
(٦٥) المصدر نفسه ، (٣/٣٦)، ص ١٣١.

فجاء تشبيهه لذؤاب بن أسماء بمتن السيف أو نصل الرمح، تشبيها يبرز اشتراكهما في صفة الحزم والقوة، فكانت مثل ملائمة لوزن البيت ومبينة المماثلة في الصفة بينهما.

وجاء استخدامه كلمة منزلة أداة للتشبيه الاسمية التي بمعنى مثل، وذلك عندما شبه أبا النضر بالفجر في وضوحه ووضاءته، فكانت للدلالة على الاشتراك في الصفة بينهما. قال:[٦٦]

رَأَيْتُ أبا النَّضْرِ في مِذْحَجٍ بمَنْزِلَةِ الفَجْرِ حينَ اتَّضَح

أما الأدوات الفعلية؛ فقد استخدم فعلين للتشبيه، وذلك لبيان تمام المشابهة بين طرفي التشبيه. فنجده عند تشبيه أولاد فارس وبيان مدى ضعفهم وجبنهم شبههم بقطيع الحمر الوحشية الخائف من صوت عالٍ، ذلك الصوت هو صوت الرماح التي تصوَّب نحوهم، واستخدم كلمة "تحسبهم" كأداة للتشبيه، لبيان المشابهة بينهم وبين الحمر الوحشية في الجبن والهرب. فقال: [٦٧]

ويومَ طَعْنِ القَنا الخَطِّيِّ تَحْسِبُهُم عَانَاتِ وَحْشٍ دَهَاها صَوْتُ مُنْذَعِرِ

وقد شبه دريد الخنساء[٦٨] بالغمامة الموجودة في السماء في يوم مطير مظلم، تلك السحابة التي ينير ظلامها البرق، وعلى الرغم من شدة ضوء البرق ولمعانه، فإنه

(٦٦)المصدر نفسه ، (٩/٨)، ص ٥١.

(٦٧) ديوان دريد بن الصمة ، (٩/٢٢)، ص ٩٨.

(٦٨) الخنساء: تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، من بني سليم، من قيس عيلان، من مُضر أشهر شواعر العرب عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت.. أكثر شعرها وأجوده رثاؤها لأخويها (صخر ومعاوية). ينظر الأعلام، ج٢، ص٨٦.

يدمر ما يصيبه. كذلك هي في غضبها، واستخدم كلمة أشبهها التي تدل على التشابه في الكيفيات والصفات. فقال: [٦٩]

أُشَبِّهُهَا غَمَامَةَ يَوْمَ دَجْنٍ تَلألأ بَرْقُهَا أو ضَوْءَ شَمْسِ

٣- صور التشبيه:

تنوعت صور التشبيه في شعر دريد، واختلفت نسبة وجود تلك الصور في شعره، فنجد التشبيهات محذوفة الوجه يغلب ورودها في الديوان على باقي صور التشبيه؛ فقد وردت في شعره حوالي أربعين مرة، ثم تلاها في المرتبة الثانية التشبيهات مكتملة الأركان، ونجدها حوالي ثلاثا وعشرين مرة، ثم نجد التشبيهات محذوفة الوجه والأداة في شعره حوالي عشر مرات، كما تساوت وقلّت التشبيهات مضمرة أحد الطرفين، ومحذوفة الأداة، ونجدها ثلاثة تشبيهات لكل نوع منها.وفيما يلي تُعرض بعض النماذج لكل صورة من صور التشبيه.

أولا: التشبيه مكتمل الأركان:

كثرت صور التشبيه مكتمل الأركان في شعر دريد بن الصمة، وتنوعت في قصائده، فقد كان يعمد إلى وصف دقيق للصورة التي يأتي بها، ففي هجائه زيد بن سهل تعجب ممن يشبه به، فهو سفيه ، وهو ليس بفارس، فلا تضمه الجيوش، ومن ثم فلا ينبغي أن يُشبه به. فقال:[٧٠]

تَمَنَّيْتِنِي زَيْدَ بنَ سَهْلٍ سَفَاهَةً وأنت امرؤٌ لا تَحْتَوِيكَ مَقَانِبُ

(٦٩) ديوان دريد بن الصمة ، (٢/٢٩)، ص ١١٥.

(٧٠) ديوان دريد بن الصمة ، (١٩/٣)، ص ٤١.

وفي الهجاء قال:[٧١]

فانْظُرُوهَا كالسَّعَالِي شُزَّبًا قبْلَ رَأْسِ الحَوْلِ إنْ لمْ أَخْتَرِم

فهجا بني الحارث مشبهًا إياهم بالغيلان الضامرة التي تترقب موتها من شدة ضعفها، فهي لا تقوى على مواجهة دريد وجيشه لقوة عدوهم.

وقال حسرةً على نفسه: [٧٢]

إنْ يكُ رَأْسِي كالثَّغَامَةِ نَسْلُه يَطِيفُ بي الوِلْدَانُ أَحْدَبَ كالقِرْدِ

فعند تحسره على نفسه وما أصبح عليه عند كبره وعجزه، شبه نفسه بالقرد، ظهره أحدب يستخف الناس به.

وفي حديثه عن ذؤاب بن أسماء قال: [٧٣]

فتىً مِثْلُ مَتْنِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ للنَّدَى كعَالِيَةِ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِي أرْوَعَا

فهو يتحدث عن قوة عدوه – ذؤاب بن أسماء– الذي استطاع دريد أن يتغلب عليه رغم قوته التي اشتهر بها، ويشبهه بالرمح الرديني المشهور بجودته وروعته ودقة صنعه، فذؤاب كذلك مشهور بقوته وروعته ودقة تصويبه.

وقال مادحا ربيعة بن مُكَدم: [٧٤]

مُتَهَلِّلٌ تَبْدُو أَسِرَّةُ وَجْهِهِ مِثْلَ الحُسَامِ جَلَتْهُ كَفُّ الصَّيْقَلِ

---

(٧١) المصدر نفسه ، (٧/٥٢)، ص ١٥٦.
(٧٢) المصدر نفسه ، (١/١٣)، ص٧٨.
(٧٣) ديوان دريد بن الصمة ، (٣/٣٦)، ص١٣١.
(٧٤) المصدر نفسه ، (٣/٤٩)، ص ١٥٢.

مدح دريد ربيعةَ بن مكدم، فارس الظعينة، فشبه وجهه بالسيف المصقول الذي يتلألأ من جودة الصنع، فوجهه مشرق متلألئ مثل السيف الذي صقله الماهر بصنعه.

وقال مشبها الخنساء: [٧٥]

أُشَبِّهُهَا غَمَامَةَ يَوْمَ دَجْنٍ تَلألأ بَرْقُهَا أو ضَوْءَ شَمْسِ

فشبه الخنساء بالغمامة الموجودة في يوم مطير، تغير لون السماء، ولكن تلك السحابة يتلألأ البرق بها لينير بعض السماء، كذلك الخنساء فبالرغم من شبهها بتلك الغمامة، فوجهها ينير ويتلألأ كالبرق.

وفخرا بنفسه، قال: [٧٦]

بجَأْوَاءَ جَوْنٍ كَلَوْنِ السَّمَاءِ تَرُدُّ الحَدِيدَ كَلِيلًا فَلِيلًا

فشبه الكتيبة التي يقودها في الحروب بالسماء السوداء المشربة بالحمرة، لما يكثر فيها من الدروع.

ثانيا: التشبيه محذوف الوجه:

وهو ما يسلم إلى اتساع وجوه الشبه بين الطرفين؛ المشبه والمشبه به، وهو أكثر صور التشبيه شيوعا في الشعر، وقد ظهر ذلك جليا في شعر دريد، فقد غلبت صور التشبيه محذوف الوجه عنده حتى مثلت معظم التشبيهات في ديوانه.

([٧٥]) المصدر نفسه ، (٢/٢٩)، ص١١٥.

([٧٦]) المصدر نفسه ، (٧/٤٣)، ص١٤١.

فنراه يقول: [٧٧]

وإنْ تُسْهِلُوا للخَيْلِ تُسْهِل علَيْكُم بطَعْنٍ كإيزَاغِ المَخَاضِ الضَّوَارِبِ

فدريد عند حديثه عن شدة الطعن وقوته في المعركة شبهه بإيزاغ النوق الحوامل لشدته وتتابعه يصيبهم تعباً، فهم لا يستطيعون دفعه أو توقيفه لتلاحقه عليهم.

وقد دعا قومه للحرب والأخذ بالثأر ممن قتلوا أباه، قائلا: [٧٨]

على جُرْدٍ كأمْثَالِ السَّعَالِي ورَجْلٍ مِثْلِ أَهْمِيَةِ الكَثِيبِ

فنجده مشبها قوة قومه وفرسانهم بقوة الغيلان التي تجري مراوغة في الصحراء دون تعب، كما شبه الرجلة منهم بالرمال الناعمة التي تنساب في سهولة وسرعة. وذلك يدل على قوتهم وسرعة استجابتهم لطلب الحرب التي لا يخافون خوضها.

وعندما وصف الصحراء قال: [٧٩]

فَقَدْ أَبْعَثُ الوَجْنَاءَ يَدْمَى أَظَلُّهَا على ظَهْرِ سَبْسَابٍ كحَاشِيَةِ البُرْدِ

فقد شبه الصحراء التي تنطلق فيها ناقته بالثوب المخطط الذي يخطه الوشي وبهذا التشبيه نجح في رسم صورة متحركة لرمال الصحراء فكلما زادت سرعة ناقته، وجدنا الرمال تصبح كالثوب المخطط.

([٧٧]) ديوان دريد بن الصمة ، (٩/٣)، ص٣٨.

([٧٨]) المصدر نفسه ، (٢/٦)، ص٤٨.

([٧٩]) ديوان دريد بن الصمة ، (٤/١٣)، ص ٧٨.

وقال مشبها قوته: [٨٠]

يا هِنْدُ لا تُنْكِري شَيْبِي ولا كِبَرِي فَهِمَّتِي مِثْلُ حَدِّ الصَّارِمِ الذَّكَرِ

فقد شبه نفسه عندما أراد بيان قوته بالسيف الصارم الصلب، فالسيف بهذه الصفات يكون ماضيا قاطعا لا يوقفه شيء، كذلك عزمه قوي شديد ماضٍ لا يستطيع أن يوقفه شيء أو أحد مهما كانت قوته.

وقال في ضعفه: [٨١]

في مَنْصَفٍ مِن مَدَى تِسْعِين من مائَةٍ كَرَمْيَةِ الكَاعِبِ العَذْرَاءِ بالحَجَرِ

فعند تصويره لحاله في عجزه وكبره شبه نفسه بالحسناء التي ترمي الحجر فتكون رميتها ضعيفة وليست قوية، وحذف وجه الشبه وهو الضعف الذي أصبح عليه ، والضعف في رمية الحسناء للحجر.

ثالثا: التشبيه محذوف الوجه والأداة:

تأتي صورة التشبيه البليغ لتوحي للسامع أن المشبه والمشبه به شيء واحد، وقد استخدم دريد تلك الصورة حوالي عشر مرات، وتنوعت بين الهجاء والفخر والوصف.

هجا دريد قبيلة مرة قائلا: [٨٢]

ومُرَّةَ قَدْ أَخْرَجْنَهُمْ وتَرَكْنَهُم يَرُوغُونَ بالصَلْعَاءِ رَوْغَ الثَّعَالِبِ

(٨٠) المصدر نفسه ، (١/٢٢)، ص٩٨.
(٨١) المصدر نفسه ، (٢/٢٤)، ص١٠٣.
(٨٢) ديوان دريد بن الصمة ، (٧/٣)، ص ٣٧.

فقد شبههم بالثعلب في المراوغة، فهم يخافون فيذهبون يمنة ويسرة مراوغين أعداءهم حتى لا يجدوهم ويقتلوهم. وقد شبههم بالثعلب ليؤكد صفة مراوغتهم وجبنهم.

ثم في وصف وتشبيه الخيل، قال: [٨٣]

سَوَابِقُهَا يَخْرُجْنَ من مُتَنَصَّفٍ خُرُوجَ القَوَارِي الخُضْرِ مِن سَبَلِ الرّعْدِ

فقد صورها بالطيور التي تخرج وتظهر مع المطر تطير وتتراقص فرحة بنزول المطر، كذلك الخيل عند جريها في الأرض وسرعتها كأنها تتراقص مثل الطير، وحذف الوجه والأداة حتى تبدو حركة الخيل كأنها حركة الطير.

وفي المدح قال: [٨٤]

فإنَّ حِزَامًا لَدَى مَعْرَكٍ وإخْوَتَه حَوْلَهُم أَنْسُرُ

مدح دريد عدوه مبينا قوته وقوة إخوته، وهي سمة عند الشعراء عندما يريد إظهار قوته فإنه يمدح عدوه ويبين قوته، ويبين كيف تغلب عليه، وقد شبه حزاما وإخوته من بني فزارة بالنسور ليبين مدى شجاعتهم وقوتهم، واستخدم التشبيه البليغ ليؤكد تشبيههم بالنسور.

وفي فخره بنفسه شبه نفسه بالنائبات التي تعز الذليل أو تذل العزيز، وهو تشبيه بليغ يدل على قوته وغلبته. قال: [٨٥]

أنَا نَائِبَاتُ الزَّمَانِ التِي تُذِلُّ العَزِيزَ وتُحْيِ الذَّلِيلَا

([٨٣]) المصدرنفسه، (٩/١٣)، ص٧٩.
([٨٤]) المصدر نفسه ، (٨/٢٣) ، ص١٠١.
([٨٥]) ديوان دريد بن الصمة ، (١٠/٤٣)، ص١٤١.

رابعًا: التشبيه المضمر أحد الطرفين:

قال في تشبيه أخيه خالد:[٨٦]

تَقُولُ هِلالٌ خَارِجٌ من غَمَامَةٍ إذا جَاءَ يَجْرِي في شَلِيلٍ وقَوْنَسٍ

وقال في تشبيه أخيه عبد يغوث: [٨٧]

ولن يَزَالَ شِهَابًا يُسْتَضَاءُ بِه يَهْدِي المَقَانِبَ ما لمْ تَهْلَك الصِّمَمُ

جاءت صورتا التشبيه المضمر أحد الطرفين في رثاء أخوي دريد، فقد شبه أخاه خالدا بالبدر، وشبه أخاه عبديغوث بالشهاب. وفي الصورتين بالغ في التشبيه، فليس هو كالبدر بل البدر نفسه مبالغةً في تشبيه أخيه وبيان أهميته بين قومه فهو من يضئ لهم الطريق ويسترشدون به في الغزوات. كذلك أخوه عبديغوث هو الشهاب الذي يضئ لهم الطريق في الحروب ويسيرون وراءه.

(٨٦) المصدر نفسه ، (٥/٣١)، ص١٢٤.
(٨٧) المصدر نفسه ، (٣/٥٤)، ص١٥٨.

الخاتمة والنتائج

وبعدُ فقد توصل البحث إلى نتائج من أهمها مايلي :

١- جاءت بنية التشبيه في شعر دريد بن الصمة مكونة من المشبه، والمشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، وقد حذف وجه الشبه في أغلب صوره التشبيهية، كما اختلفت أدوات التشبيه بين اسمية، وفعلية، وحرفية.

٢- تنوعت صور التشبيه في شعر دريد بن الصمة، واختلفت نسبة شيوعها في شعره؛ فنجد التشبيه المحذوف وجه الشبه يمثل النسبة الأعلى في شعره، فقد ورد أربعين مرة، تلاه التشبيه المكتمل الأركان، ومثّل ثلاثا وعشرين مرة، ثم التشبيه المحذوف الوجه والأداة، وبلغ حوالي ست عشرة مرة، وقلّ التشبيه المضمر أحد الطرفين، ومحذوف الأداة، بحيث مثّل كل نوع منهما ثلاث تشبيهات.

٣- ترددت في شعر دريد بن الصمة صور تشبيهية شائعة في عصره، مستوحاة من الطبيعة حوله، ومن نسقه الثقافي، كما جاءت في شعره صور مبتكرة مثل التشبيه بالفجر، وغيرها، وقد أبدع في صوره الشائعة بحيث أنزلها منزلة المبتكرة من خلال ما أضفاه عليها من صور مركبة، أفادت عناصرها معاني مبتكرة.

٤- وظف دريد بن الصمة الصورة التشبيهية في إبراز شجاعته وقوته، فنجد الفخر عنده ساد كغرض عام من أغراض شعره، فكان شعره استعراضا لمواطن قوته وكرمه وشجاعته.

ثبت المصادر والمراجع

١- أسرار البلاغة: عبدالقاهر الجرجاني: تعليق محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ط١، ١٩٩١.

٢- أدوات التشبيه دلالاتها واستعمالاتها في القرآن الكريم: د محمد موسى حمدان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٧.

٣- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت.

٤- بلاغة التشبيه في المعلقات السبع، مختار عطية ،بحث نشر مجلة الآداب بالمنصورة، ٢٠٠٢.

٥- ديوان دريد ببن الصمة : تحقيق الدكتور عمر عبدالرسول ، دار المعارف، مصر، ذخائر العرب ، ١٩٨٥.

٦- الصناعتين: أبو هلال العسكري: تحقيق علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٧١.

٧- الصورة البيانية في الموروث البلاغي: الدكتور حسن طبل، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط١، ٢٠٠٥.

٨- العمدة: ابن رشيق القيرواني: تحقيق الدكتور النبوي شعلان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١،٢٠٠٠.

٩- عيار الشعر: ابن طباطبا: تحقيق عباس عبدالساتر، مراجعة نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.

١٠- نقد الشعر: أبو الفرج قدامة بن جعفر: تحقيق كمال مصطفى، الخانجي، القاهرة، ط٣،١٩٧٩.

١١- الوساطة بين المتنبي وخصومه:القاضي الجرجاني: تحقيق محمدأبوالفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦.